

الفرج بعد الشدة

[72] أبو الحسن ابن الفرات أبا على بن مقله في وزارته الثالثة لم أدخل إليه في حبسه، ولا كاتبته متوجعا له، ولا راسلته خوفا من أن يلقي ذلك إلى ابن الفرات. وكانت بيني وبين ابن مقله مودة لطيفة فلما طالت نكبته كتب إلى رقعة طويلة فيها: ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم * أبى لى أم القرطاس أصبح غالبا فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا * وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا صديقك من راعاك عند شديدة * وكل تراه في الرخاء مراعيًا فهبك عدوى لا صديقى فريما * تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول: إنه قد أنفذ إلى في طى رقعته رقعة إلى الوزير يسألنى إعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنه أبو أحمد المحسن ففتحت رقعته إلى الوزير فإذا هي " بسم الله الرحمن الرحيم: أقصرت أطال الله بقاء الوزير فعلى وصنعى على الاستعطاف والشكوى، حتى تناهت بى المحنة والبلوى، في النفس والمال والجسم والحال إلى ما فيه شفاء للمنتقم، وتقويم للمحترم حتى أفضت إلى الحيرة والتبلد، وعيالي إلى الهتكة والتلد وما أقول ان حالا أتاها الوزير أيده الله في أمرى الا بحق واجب، وطن صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة، والاعتراف يزيل الاقتراف، والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين، والاحسان إلى المسئى من أفعال المتقين، وعلى كل حال فلى ذمام وحرمة، وتأميل وخدمة، فان كانت الاساءة تضعيها فرعاية الوزير أيده الله تحفظها، فان رأى الوزير أطال الله بقاءه أن يلحظ عبده بعين رأفته، وينعم عليه بإحياء مهجته، ويخلصها من العذاب الشديد، والجهد الجهيد، ويجعل له من معروفه نصيبا، ومن البلوى فرجا قريبا، فعل ان شاء الله ". قال ابن يحيى: فأقامت الرقعة في كمي أياما لا أتمكن من عرضها إلى أن رسم الوزير بن الفرات بكتابة نسخة إلى جعفر ابن أبى القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم، وان احررها بين يديه، وأعرضها عليه وخلا بى لهذا السبب فعملت النسخة، وأوقفته عليها، فأمرني بتحريرها فاغتنمت خلوته من كل أحد وقلت: قد عرف الوزير أيده الله